

## العلم من الاكتفاء بالسنن السببية إلى أفق السنن الغائية

### Science from sufficiency in causal teeth

### To the horizon of teleological teeth

د. عمار قاسمي\*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين - قسنطينة (الجزائر)

ammargasmi@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/15 تاريخ القبول: 2023/10/29 تاريخ النشر: 2023/12/30

#### ملخص:

مثل الذي يشتغل على النظر في السنن السببية ويستعمل القوانين الفيزيائية المجردة من السنن الغائية كمثل: الذي يتمرن على قيادة السيارة ولا يعرف عناصر وقوانين تركيبها وأسرار صنعها، ليس كالذي صنعها ويعرف كيفية إدارتها والتحكم فيها، فالذي تدرّب على قيادتها فقط يتوهم بسبب قدرته على استعمالها واستمرار عملها أنه مساو لصانعها في إدارتها والتحكم فيها، حتى إذا تعطلت ظهر له جهله وتحقق من حاجته إلى غيره.

تهدف هذه الدراسة إلى توظيف "المنظور السنني الشامل" لنقل العلم المعاصر من الاكتفاء بالنظر في السنن السببية إلى أفق النظر السنني الروحي الغائي، وبناء المنهجية العلمية السننية، لأن التدافع الحضاري اليوم قائم على درجة الفقه والوعي بسنن الله في الآفاق والأنفس، أو بتعبير آخر على منهج علمي غيبي يقوم على التقوى، ويحقق الفقه الحقيقي بالسنن الكونية والاجتماعية، للاستفادة من سنن الآفاق من ناحية، ولتوجيه الحضارة بسنن الأنفس من ناحية أخرى، وبلوغ درجة التقوى بسنن الهداية وتحقيق النصر والسيادة بسنن التأيد من ناحية ثالثة.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: بناء فروض سننية جديدة تعطي للعلم المعاصر أسسا جديدة، وتحديد منهج ومسار برهنة سننية جديدة، تعطي للعلم مسارا وتوجيها جديدا، وحقن العلم المعاصر بمفاهيم سننية جديدة تعيد صياغة العلم صياغة جديدة تستغرق جميع أبعاد الإنسان المادية والروحية وتوسع آفاقه ليربط عالم الشهادة بعالم الغيب. أن السننية كعلم يتطلب جهدا جبارا فالاجتهد لازم له لا يكاد يقاس بغيره. إذن لابد من إحكام مختلف

مقتضيات التنظير المنهجية والمنطقية، والإمعان في الوعي بخصوصيات الموضوع الذي يميزه، واتساع في النظر والتوسع في المعرفة وسعة الصدر حتى يكون هناك علم يسمى السننية ومنهجية علمية سننية.

**الكلمات المفتاحية:** النظر؛ السننية الشاملة؛ العلم؛ السببية؛ منهجية التقوى.

**Abstract:**

Like the one who works on physical age and uses ageless physical laws, such as: who practices driving a car and does not know the secret of making it, not like the one who made it, who is trained to drive it only fancy that it is equal to its maker in controlling it, even if it breaks down, he shows ignorance and checks his need for others.

This study aims to use the "comprehensive sunny perspective" to transfer contemporary science from merely a causal view to the horizon of sunny consideration, and to build the Sunni approach, because today's civilized stampede is based on the degree of jurisprudence and awareness of a year that has been blown up in horizons and souls, or in other words on the curriculum My knowledge is based on piety, and achieves true jurisprudence in cosmic and social years, to take advantage of the age of horizons on the one hand, to guide civilization by years of self on the other, and to achieve the degree of piety by enacting guidance and achieving victory and sovereignty by enacting support.

It has reached a set of findings, the most important of which are: the construction of new sunny assumptions that give contemporary science new foundations, the setting of a new sunny proof that gives science a new course and guidance, and its injection of new Sunni concepts that reformulate science in a new way that takes all the physical and spiritual dimensions of man.

**Keywords:** Comprehensive; Sunnany ; Science; Causality; Piety Methodology .

## 1. مقدمة:

نشأت عدة نظريات علمية عبر التاريخ تُحدد طبيعة المعرفة الإنسانية بشأن العالم الطبيعي والذي تمثل الفيزياء صورته الناصعة: منها النظريات التي توصل إليها العلماء المسلمون في الفلك والفيزياء والكيمياء والبصريات..، والتي أخذها علماء الغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وبنو عليها نظرياتهم؛ كنظرية البولندي نيكولاس كوبرنيكوس (ت1543م)، ثم نظرية الدانمركي تيخو براهي (ت1601م)، التي تتضمن دوران الكواكب حول الأرض ورفضه للنظريات اليونانية خاصة نظرية أرسطو، ثم حسابات تلميذه الألماني جوهانز كيبلر (ت1630م)، ثم حسابات الإيطالي غاليليو غاليليو (ت1642م) لحركة الأجسام الساقطة سقوطاً حراً، إلى أن جاء الإنجليزي إسحاق نيوتن (ت1727م) الذي استطاع صياغة نظرية متكاملة في الحركة الحرة، والحركة تحت تأثير المجال الجاذبي، بالاعتماد على معطيات سابقه، ثم جاءت نظرية الاسكتلندي جيمس كلارك ماكسويل (ت1879م) التي لخصت حصيلة أبحاث القرن الثامن عشر حول الظواهر الكهربائية والمغناطيسية، وخواص الضوء والظواهر البصرية في نظرية واحدة هي "النظرية الكهرومغناطيسية".

"هذه النظريات، خاصة نظرية نيوتن وماكسويل حققت نجاحات فائقة في التعامل مع العالم المحسوس، أي العالم الظاهر، كحركة الأجسام على الأرض، وحركة القذائف، وحركة الكواكب، وصفات الضوء وظواهره المعروفة كالانكسار والانعكاس والاستقطاب والتداخل مما جعلها تنصدر أصول المعرفة الفيزيائية لفترة طويلة من الزمن"<sup>(1)</sup>، لكنها لم تصمد طويلاً لأنها لم تستطع أن تفسر الظواهر المتناهية في الصغر؛ كالجزيئات الصغيرة والذرات، ولم تستطع نظرية ماكسويل أن تبين حقيقة تفاعل الإشعاع مع المادة ضمن التطور الموجي للمجال الكهرومغناطيسي، ذلك التطور الذي يشكل عماداً مهماً من أعمدة النظرية الكهرومغناطيسية.

من هنا جاءت نظرية الكم للألماني ماكس بلانك (ت1947م)، برؤية جديدة للإشعاع الكهرومغناطيسي فجعلته رزماً ودفقات أو كمّات، منفصلة عن الطاقة بدلاً من كونه متصلًا، و"بظهور نظرية هذه النظرية أتمت المفاهيم القديمة"<sup>(2)</sup> التي كانت تصور الكون آلة ميكانيكية كبيرة تتفاعل فيها متغيرات الزمان والمكان والطاقة والمادة والحركة بموجب قوانين حتمية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير"<sup>(3)</sup>، هذا التصور الذي وجه العلم توجيهها إلحادياً مباشراً، لأنه بني على أسس الفلسفة

اليونانية التي تعتقد بالعقائد الوثنية والصابئية مثل؛ القول بقدوم العالم ورفض الخلق من العدم، ثم جاء نموذج الدنمركي نيلز بور (ت1962م)، الذي أعطى تصورا جديدا للذرة يقوم على فروض جديدة، ومسار برهنة جديد، ومفاهيم جديدة، تكاملت مع فرضية ماكس بلانك لتفسير حركة الذرة ومقادير إشعاع الطاقة وامتصاصها في العالم المجهرى.

إلا أن هذه الفيزياء واجهت معضلات في نهاية القرن التاسع عشر، فـ: "جاءت نظرية الألماني ألبرت أنشطين (ت1955م)، في النسبية الخاصة لحل جانب من المعضلات العملية التي واجهتها بشكل مشترك نظرية نيوتن الحركية ونظرية ماكسويل الكهرومغناطيسية، وتلك هي معضلة الأثير"<sup>(4)</sup>، جاءت النسبية إذن لتوحد الزمان والمكان في كينونة واحدة متصلة هي الزمكان<sup>(5)</sup>، بحيث صار الفضاء الذي يتعامل معه الفيزيائي مؤلف من أربعة أبعاد: ثلاثة منها مكانية وهي المعهودة، وبعد رابع هو الزمن، ولم يكن لهذا البعد الرابع أن يكون جزء من البنية التكوينية للفضاء لولى ثبات سرعة الضوء، وكونها مطلقة بالنسبة إلى جميع مراجع القياس، "وكان من ثمره ذلك التوحيد للمكان والزمان، أن تم الكشف عن تكافؤ المادة والطاقة من خلال العلاقة الشهيرة التي تقول: أن الطاقة هي الكتلة مضروبة في سرعة الضوء  $E=mc^2$ ، ثم وضعت نظرية النسبية العامة<sup>(6)</sup> التي عممت النسبية الخاصة وأمعنت في توحيد شخوص العالم وترابطها بعضها ببعض الآخر، إذ كشفت عن العلاقة بين المادة (الطاقة) مع الهندسة والحركة، فتبين لأنشطين أن القوة الجاذبية التي يعتقد الناس أنها صفة للمادة، هي في الحقيقة صفة لهندسة الفضاء (الزمكان).

وقد لقيت نظرية الكم والنسبية ونظرية الكوانتم خلال العشرين سنة الماضية نجاحا كبيرا في تفسير الظواهر الذرية وتحت الذرية، ولكن فشلت في إعطاء جواب عن عدد كبير من الظواهر الكونية، وبمراجعة إحصائية للمكتشفات العلمية تبين أن ما توصل إليه الإنسان حتى هذه اللحظة يمثل فقط 4%<sup>(7)</sup> من مجمل ما يتضمنه الكون من أسرار، وهذا لأن العلم المعاصر أنتجه النظر السببي الميت القائم على التفكير الذي اعتمد العقل المجرد من الوحي، والتجريب الذي اعتمد الحواس المجردة من القلب والوسائل التي هي في تطور وتجدد دائم.

يتبين من النظرة السريعة السابقة إلى سيرورة العلوم<sup>(8)</sup> التي أتتها الإنسان عبر التاريخ، أنها محدودة وغير كاملة وغير مستقرة، وخاضعة للتبدل والتغير المستمر مما قد يضطر المرء إلى أن يتخذ منها موقفا سلبيا يؤدي به إلى رفضها رفضا كاملا فيضطر إما إلى أن يركن للجهل، وإما إلى البحث عن سبل أخرى للعلم، وهذا لأن وسائل هذا العلم تقوم على التفكير السببي المجرد والتجريب السببي المجرد؛ فحصول التفكير السببي هي الناتج النظري بما فيه من التصورات والصياغات النظرية التي يُستدل بها على الكيفيات، لتفسير حصول الظواهر وفهم الأسباب الظاهرة فيما يحصل من حوادث في الكون.

أما التجريب السببي؛ فهو الوسيلة التي يتم بها نقل الظاهرة موضوع البحث ووضعها في شروط مخبرية يهيئها الباحث بنفسه مسبقا، من أجل اختبار متغيراتها وفحص تأثير بعضها على البعض الآخر ثم العودة إلى التفكير والتأمل فيما يحصل، للربط بين المتغيرات في جملة علاقات رمزية رياضية، ليتم بذلك اكتشاف القانون السببي الذي يقف وراء الظاهرة ويحكمها، وإذا لم تكن هناك صيغة رياضية مباشرة للكشف عن العلاقات السببية، يتم بناء الفرضية التي تستنبط الفعل التجريبي وتختفي وراء حصوله بالكيفية والكمية التي يحصل بها، والتحقق التجريبي أو الرياضي من الفرضية هو الذي يحدد مصيرها، إما أنها ترتقي إلى مستوى النظرية العلمية وإما أن تلغى ويتم الاستغناء عنها.

إذن فالنظرية العلمية الناتجة عن البحث في الأسباب المادية، في نهاية التحليل هي مجموعة من الفرضيات الابتدائية المتراكبة بعضها فوق بعض باتساق مع المعارف والحقائق المقررة في العلم السببي سابقا ضمن مسار برهاني معين، غالبا ما يتخذ الصيغة الرياضية، لتنتج تفسيرات نظرية لوقائع أو ظواهر حاصلة في الطبيعة، وتنبأ بظواهر لم يتم الكشف عنها بعد، لهذا تميزت بالمحدودية وضيق الأفق والتبدل والانفصال عن عالم الغيب، وانغلقت على العالم المادي وتطرفت في استغلال الأرض أبشع استغلال.. لهذا فإن الإشكالية التي يجب طرحها هي:

**طرح الإشكالية:** ماذا يمكن أن يقدم النظر السنني الغائي للعلم المعاصر من أجل أن يرشده إلى المسار الصحيح الذي ينفع الإنسانية ويوصل الإنسان إلى الحق جل وعز؟ وكيف يمكن أن يوسع أفقه ليربطه بعالم الغيب؟

ما هي المقدمات والسوابق الجديدة التي تمدنا بها السننية والتي يمكن أن تعين العلم المعاصر على الخروج من قوقعته المادية وتوسيع أفقه وتجاوز أزمته؟ وما هي المقاصد والفرضيات الجديدة التي تمدنا بها السننية والتي تعطي للعلم توجهها ومساراً منهجياً جديداً يربط عالم الشهادة بعالم الغيب، وينتفع أقصى انتفاع بعالم الشهادة؟

**الفرضيات:** وتفترض هذه الدراسة أن العلم المعاصر يعاني من خلل على مستوى المبادئ والسوابق والمقدمات، كما تفترض أنه أخطأ في تحديد توجهه ومساره واختياراته المنهجية والعقدية، مما أدى إلى قوقعة مفاهيمه في الدائرة المادية المتطرفة في الاشتغال بالمادة والبحث في الأسباب المادية.

**منهجية البحث:** ولتحقيق هذه الأهداف سلك البحث المنهج الفرضي الاستنباطي كمنهج محوري، واعتمد مجموعة من الآليات المنطقية خاصة المتعلقة منها بتوجيه الفكر توجيهها سننياً. فجاءت خطة البحث زيادة عن المقدمة والخاتمة في العناصر التالية: وقفت الدراسة عند ضرورة بناء النظر في السنني السببي على النظر السنني الغائي، ثم حاولت الحديث عن أن وسائل الإنسان الإدراكية مهياً للنظر السنني السببي والنظر السنني الغائي معاً، ثم ارتقت درجة إلى العقيدة لتبين أنها تقوم على أساس العلم السنني الصحيح، ثم قامت الدراسة بإعطاء نماذج تمثلت في سُنّة إسكان الماء في الأرض، وسنة إمساك السماوات والأرض وعلاقتها بالقوانين العلمية السببية كقانون الجاذبية.

**الأهداف:** وتهدف هذه الدراسة إلى إعادة بناء العلم المعاصر ومراجعة مقدماته وسوابقه ثم ضبط مقاصده وتوجهاته ورسم أهدافه، وتحديد أطره المنهجية كل ذلك بحسب ما تقتضيه جواهر القرآن، كما تهدف إلى تنويع النظر السنني القائم على البحث في الأسباب المادية، بالنظر السنني الغائي. أما الدراسات السابقة فهناك الكثير من الأعمال نذكر منها أعمل أحمد فؤاد باشة خاصة رحيق العلم والإيمان، وأعمال الشيخ الطيب برغوث.

## 2. ضرورة بناء النظر السنني السببي المادي على النظر السنني الغائي:

### 1.2 مفهوم السببية بين النظامين المعرفيين الإسلامي والغربي:

ينبغي أن نشير منذ البداية إلى الفروق الجوهرية بين النظامين المعرفيين الإسلامي والغربي، فكل نظام له مقدماته وسوابقه وله مقاصده ولواقفه ومنهجيته، وله منظومته المفاهيمية التي يختص بها وتميزه عن غيره من الأنظمة المعرفية، فالعلم في النظام المعرفي الغربي هو مجموعة من القوانين والنظريات المكتشفة بالبحث المنهجي والتي يمكن التحقق منها مخبرياً أو رياضياً، والتي تعبر تعبيراً مباشراً عن العلاقات الثابتة بين ظواهر الطبيعة المادية، بينما مدلول العلم أوسع بكثير من هذا في النظام المعرفي الإسلامي، فهو يشمل هذه القوانين والنظريات ويشمل الدين نفسه، حتى أن القرآن الكريم يعتبر العلم والدين شيء واحد، فالعلم في التداول الإسلامي يشمل المعارف الخاصة بعالم الغيب والمعارف الخاصة بعالم الشهادة.

والشيء نفسه بالنسبة لمفهوم السببية، فالسببية في النظام المعرفي الغربي تقتصر فقط على الظواهر المادية مجردة تماماً من القيم ومسبباتها التي تربطها بعالم الغيب، أما بالنسبة للنظام المعرفي الإسلامي فالأسباب محتواة في السنن، وقد أوضح عبد الكريم زيدان، هذه المسألة مما لا يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، فالكون "يجري بموجب أسباب ومسببات تكوّن قانوناً عاماً في غاية الدقة والإحكام والشمول، بحيث لا يخرج عنه شيء ولا يفلت منه مخلوق... وهذا القانون الإلهي العام المسمى في القرآن الكريم بـ(سنة الله)، لا يقبل التبديل أو التحويل... و(سنة الله) أو هذا القانون الإلهي العام يقوم على الأسباب والمسببات ويربط النتائج بالمقدمات، على نحو هو غاية في الدقة والصرامة والاطراد"<sup>(9)</sup>، وقد أثبتت مشكلة السببية في الفكر والتاريخ الإسلامي، وكانت وما تزال من بين المعضلات التي زعزعت كيان الأمة ومزقت وحدتها، وقد حاول علماء الأمة المتقدمين خاصة ابن تيمية والغزالي حسم الأمر في هذه القضية والبت فيها بشكل نهائي.

والخلل الذي وقع فيه النظام المعرفي الغربي حول مفهوم السببية، هو انفصاله عن مسبباته وعدم مراعاة موانعه والانكفاء على الملاحظة الحسية الظاهرة لعالم المادة، وتجرده من التوكل على الله سبحانه وتعالى، فالتوكل لا يعني ترك الأسباب كما جرت عادة الناس، لأن هذا يؤدي إلى مخالفة الشرع، فإن الله سبحانه وتعالى، قد أمر بالأخذ بالأسباب، فمن أعرض عنها فإنه يعرض عما أمره الله تعالى، وقد رفض ابن القيم رحمه الله القول بالعلم اللدني إذا كان لا يأخذ بالأسباب واعتبر "أن العلم الحاصل بالشواهد والأدلة هو العلم الحقيقي... فإن الله سبحانه وتعالى ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدل عليه... فكل علم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علما فضلا عن أن يكون لدنيا"<sup>(10)</sup>، فالفرق الجوهرى في مفهوم السببية بين النظامين المعرفيين الإسلامى والغربى هو ربط الأسباب بالتوكل والاعتماد على الله تعالى، "وسنة الله في الأسباب تشغل مساحة كبيرة جدا من سننه الأخرى، وقد لا أكون مغاليا إذا قلت إن السنن الأخرى تقوم على سنته تعالى في الأسباب بصورة مباشرة أو غير مباشرة، حتى لتبدو للمتأمل فيها كأنها من مفردات سنة الله في الأسباب وليست سنن مستقلة، وأن أفرادها بالذكر وبأسماء خاصة بها إنما هو لإبرازها ولفت النظر إليها لمعنى خاص بها، وتبقى مع ذلك قائمة على سنة الله في الأسباب ومعتمدة عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة"<sup>(11)</sup>، وبين الفرق بين السببية الغربية التي يمكن أن نسميها السببية الميتة لأنها منقطعة عن مسبباتها التي تربطها بخالها، والسببية الحية التي ينتجها النظر السننى وتدبر آيات الله في الآفاق والأنفس والهداية والتأييد.

## 2.2 تنويع النظر السببي المادي بالنظر السنني الغائي:

خير ما يمكن الاستدلال به في بيان العلاقة بين العلم والمنظور السنني الشامل<sup>(12)</sup>، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن أعجب ما رآته من رسول الله ﷺ، فبكت وأطالت ثم قالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: "ذريني أتعبد لربي عز وجل"، فقلت: والله إني لأحب قربك، وإني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القرية فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "ويحك يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ما لي لا أبكي وقد أنزل الله علي هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي حَقِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُنَا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٥﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيْمَانِ أَتْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٧﴾﴾ (آل عمران: 190-194)<sup>(13)</sup>.

جاءت هذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمة تدعو الإنسان إلى التدبر لتنتير العقول والقلوب بأدلة التوحيد ولتجعل الإيمان الخالص بالله عز وجل بمثابة اللحمية بين حقائق العلوم الكونية التي توصل العلماء إليها بالرصد والملاحظة والتجريب والاستدلال، وبين السنن الإلهية التي يتم التوصل إليها بتدبر آيات الله في الآفاق والأنفس والهداية والتأييد. فهي تربط في علاقة عجيبة بين العلم السببي وآيات الله الكبرى في خلق الكون، وذكر الله تعالى في جميع أحوال الذكر، والتفكير والتأمل والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، وصولاً إلى الإيمان بالله الخالق، وباليوم الآخر، والتوجه إليه تعالى بالدعاء الذي هو مخ العبادة.

ومن بين ما تتضمنه أيضاً هذه الآيات من معان؛ أنها تجذب القلوب والأرواح والعقول من النظر السببي المادي الذي يقتصر على الاشتغال بالخلق، إلى النظر السنني الغائي

الذي يسعى إلى معرفة الإله الحق، وترقى بهذا النظر من العلم السببي المادي إلى العلم السنني الغائي القائم على الإيمان الخالص بالله سبحانه وتعالى، والاستغراق التام في ذكره والعبودية له وعدم الغفلة عنه في جميع الأحوال وعمامة الأوقات: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ سَيْطَانًا فَهَوْلُهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: 36).

وما أحوجنا الآن إلى تأكيد هذه المعاني القرآنية في تفكيرنا وأسلوب حياتنا، فالنظر السببي المادي القائم على النظر السنني الغائي، خير ضمان لحماية الإنسان في هذا العصر الذي شهد من الإنجازات الحضارية المادية ما يفوق كل خيال.

وآيات القرآن الكريم وآيات الآفاق وآيات الأنفس ترفع من شأن العلم السببي إلى مرتبة العلم السنني، وتجعله الأساس في فهم العلاقة المتوازنة بين الدين والكون والإنسان. فالظواهر إذا دلتنا على قوانين تحكمها أسباب سمي ذلك "نظر سببي"، وإذا دلتنا على آيات تحكمها سنن سمي ذلك "نظر سنني"، والسننية هي التي تسعى إلى تنويع النظر السنني السببي بالنظر السنني الغائي لتلافي أخطاء العلم المعاصر الذي يؤدي بالحضارة البشرية إلى الفتنة والنكبة والهلاك.

وواضح أن النظر السببي المادي لا يمكن ولا يستطيع أن يلج إلى عالم السنن الغائية، لأنه يعتمد العقل المجرد من الوحي، وهو المسلك الذي سلكته نظرية المعرفة اليونانية حين طبقت بين العقل والوجود واعتبرت العقل جوهر مكتف بذاته.

والمسلم إنما هو هذا الإنسان الذي يجزم ب: (لا إله إلا الله) ذلك أن نظره السنني لا ينفك يطلب التوحيد في كل شيء يعرض له أو يحيط به مهما دق شأنه أو جل، وهذا يعني أن الظواهر كلها ترتقي إلى رتبة الآيات المختلفة، كما يعني أن اختلاف هذه الآيات الذي لا نهاية له، يجعله يعتقد على وجه اليقين أن لهذه الآيات إله أوجدها وأمددها، ومن هنا يلزم أن النظر السنني هو النظر في مختلف الآيات للوقوف على قيمها هو الأصل في إيمان المسلم، فإيمان المسلم إيمان سنني بحق.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت: 53)، فالنظر السببي المادي إذا توج بالنظر السنني الغائي لا يبقى نظرا وإنما يصبح "رؤية سننية" وبيّن الفرق بين الرؤية والنظر والبصر والمشاهدة<sup>14</sup>، كلما اتصل العقل بالوحي زاد "النظر السببي المادي" ارتباطا بالنظر السنني الغائي وكلما زاد التدبر والتفكر في الآيات التي تتضمنها الظواهر زاد النظر السنني وتحول إلى رؤية سننية فتتجلى الآيات وتنكشف السنن ويحصل التطابق بين الوحي وبين السنن الفطرية والسنن الكونية، التي يصل من خلالها السالك إلى معرفة الحق جل وعز.

وثمة حقيقة قرآنية على درجة كبيرة من الأهمية تؤكد ضرورة تنويع النظر السببي المجرد بالنظر السنني الغائي، تلك هي أن كلمة العلم وردت في القرآن الكريم مرارا كمصطلح على الدين نفسه الذي علمه الله أنبياءه عليهم السلام، في آيات كثيرة من بينها؛ قول الله عز وجل: ﴿ وَلَئِن أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: 120) ومن ثم يعدو النظر السنني الغائي والنظر السببي المادي سواء في لغة القرآن.

ومثل الذي يشتغل على النظر السنني المادي ويستعمل القوانين الفيزيائية المجردة من السنن الغائية الكلية كمثال: الذي يتمرن على قيادة السيارة ولا يعرف عناصر وقوانين تركيبها وأسرار صنعها، ليس كالذي صنعها ويعرف كيفية إدارتها والتحكم فيها فالذي تدرّب على قيادتها فقط يتوهم بسبب قدرته على استعمالها واستمرار عملها أنه مساو لصانعها في إدارتها والتحكم فيها، حتى إذا تعطلت ظهر له جهله وتحقق من حاجته إلى غيره.

### 3. منهج الأشاعرة في النظر:

الجوانب المعرفية والمنهجية في المذاهب والتيارات الإسلامية تحكمها المفاهيم الأساسية خاصة مفهوم العقل والنقل والسبب، وطبيعة الصلة بين هذه المفاهيم؛ مجال الوحي (المقول) ومجال النظر (المعقول) هي التي تميز المذاهب والتيارات بعضها عن بعض؛ في طريقة نظر العقل في النقل، وصورة التزام العقل في العمل المذهبي بما يقرره النقل، وصورة التزام الجوارح في تطبيق ما يقر به الشرع.

ومهمتنا في هذا البحث؛ هي توضيح منظور الأشاعرة للعلاقة بين السبب والمسبب المبنية على نظرية العادة، وكيف أن هذا المنظور يحد من تغول الأسباب الطبيعية، ويخرجها من الحتمية إلى الاحتمالية في إطار الرؤية التوحيدية، وبيان الكيفية التي يرتسم بها مجال المعقول، وتوضع له الحدود والفواصل بالنظر إلى المنقول، لأن المعقول هو ما يتوصل إليه بالنظر والاستدلال، مما يفتح آفاقاً متعددة لفتوحات معرفية متجددة.

ما هي حدود المعقول عند الأشعري؟ أو ما هو مجال النظر والاستدلال عند الأشعري؟ مع العلم أن العقائد من العلوم الضرورية، وقد بين الباقلاني في كتاب التمهيد مجال العلم الضروري وعلوم النظر والاستدلال<sup>(15)</sup>، وأن الأصل في العقائد أنها لا تستخدم الاستدلال.

فالأشعري يعتبر الاستدلال هو انتزاع الدلالة أو المطالبة بالدلالة، يقول الباقلاني: "الاستدلال هو نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة والحس"، فالاستدلال عند الأشاعرة عموماً، هو تدبر الدليل للوقوف على ما يغيب منه عن الحواس والعقل. المدرسة الأشعرية صاغت قاعدة جليلة تلخص كل المناهج العلمية، لم تعرف عند غيرهم؛ إن كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مدعياً فالدليل.

هذه القاعدة تصنف العلوم إلى صنفين كبيرين علوم خبرية وعلوم أدعائية، أما العلوم الخبرية فتقوم على تمحيص الخبر وتحقيق النسبة بينه وبين مصدره؛ ومن هذه العلوم؛ مصطلح الحديث والجرح والتعديل وتراجم الرجال، حيث وضعوا ميزان دقيق يتضح من خلاله الخبر الصحيح من الخاطئ.

أما العلوم الادعائية فتقوم على بناء الدليل حسب نوع الادعاء، وتنفرع العلوم حسب تنوع هذه الأدلة، فهناك إدعاء يحتاج إلى برهان تجريبي وآخر إلى برهان رياضي وهكذا<sup>(16)</sup>. فمصدر المعرفة عند الأشعري يقوم على ثلاثة أصول؛ الوحي والعقل والوجود (الحس).

كيف جمع الأشعري بين طرق الفقهاء والمحدثين والمتصوفة والمعتزلة؟ وما مدى نجاحه في هذا الجمع؟ وإلى أي مدى حقق التوافق والتأليف بين القلوب؟ كيف صاغ من هذه المعادلة التكاملية منهجه في الاستدلال تقوم على نظرية العادة؟ وكيف أن هذا المنظور يجد من تغول الأسباب الطبيعية، ويخرجها من الحتمية إلى الاحتمالية في إطار شمول الإرادة الإلهية؟

منهج الأشعري تكاملي وهو أكثر سعة من منهج المعتزلة وأكثر دقة في ضبط المفاهيم وأكثر تأصيلاً لها، فهو له موقف دقيق جداً يتوسط بين العقل والنقل، فإذا كان الشافعي استنبط علم الأصول، واحمد بن حنبل اعتبر صحة الحديث بالدراية، والمعتزلة احتلوا الصدارة في علم الكلام، فإن "الأشعري رأى أن الاقتصار على ناحية واحدة من هذه النواحي هو الذي أدى إلى التخاصم لهذا لا بد من التكامل المعرفي بين الفقهاء والمحدثين من جهة وبين المعتزلة من جهة أخرى.

وحتى يصل إلى تحقيق هذه المعادلة التكاملية؛ بدأ بمحاولة إدراك النص في ضوء العقل، على طريقة المعتزلة، والسير وراء العقل في حدود من الشرع على طريقة الفقهاء، لأنه أخذ درساً من المعتزلة الذين ساروا وراء العقل مجرد فظلوا الطريق، فالعقل إذا ترك وشأنه اتبع هواه، ولكنه بالشرع يتبع هداه، وفرق الأشعري بين الهوى المضل، وبين الهدى الذي يعصم من الزلل والعترات، وهذا المنهج دقيق جداً يتطلب الحيطة والحذر، خاصة أثناء التطبيق في مسائل العقيدة، وقد أثبتت حوله اعتراضات، لأن أي ميل إلى الطرفين يكون على حساب الآخر، أي الأمرين (النص أو العقل) سيكون هو الضابط والمرجع إذا تعارضاً؟

تأصيل الأشعري لمفهوم العقل وتصويبه له؛ حيث كان عند المعتزلة جوهر مستقل بذاته، وهذا ما جعل المعتزلة يعتقدون أنه أداة تدرك كنه الأشياء دون حاجة إلى الوحي<sup>(17)</sup>، هذا المفهوم للعقل المجرد: أدى إلى اضطراب المنظومة الإيمانية عند المعتزلة، لأنه بقدر تجريده بقدر فصله عن الوظائف الإدراكية الأخرى، فهناك قوة إدراكية أقل منه هي وظيفة الحواس، وهناك قوة إدراكية أعلى منه هي وظيفة القلب، والمعرفة لا تحصل إلا بهما الثلاثة، كما سيتضح عند الأشعري.

فكلما زادت وظيفة العقل المجرد وزادت سعته، ضعف الإيمان فتقل الغيرة على الدين وهذا ما جعل متأخري المعتزلة ينتقون النصوص بما يدعم مذهبهم فيعتمدون الأحاديث الضعيفة وحتى المكذوبة إذا كانت تخدم مذهبهم.

فالعقل عند الأشعري<sup>(18)</sup> هو علم أو غريزة أو وظيفة إدراكية محدودة تحتاج إلى الوحي والشرع لهدايتها، وهذا ما جعله يقدم النص على العقل فالعقل يجب أن يتبع النص ولا يخرج عليه، وإن كان لكل منهما مجال، مثال؛ إثبات الوجه واليدين والعرش والاستواء أمور سمعية، يدل عليها النص، ولا سبيل إلى البرهنة عليها عقليا.

فقد جعل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما منطلق جميع تأسيساته المنهجية والمعرفية والعقلية لأنه يعتقد أن القرآن الكريم "جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ" (19)، ويقول أيضا: "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم وكبير مفهم" (20).

والأشعري يؤمن بأن للعقليات مجالها وللسمعيات مجالها ولا يجب أن يختلط أحدهما بالآخر، خشية أن يفقد النقل والعقل قداستهما، يقول: "وهذه المسائل وإن لم يكن في كل واحدة منها نص عن رسول الله ﷺ، فإنهم ردها وقاسوها على ما فيها نص من كتاب الله تعالى والسنة واجتهادهم، فهذه أحكام حوادث الفروع، ردها إلى أحكام الشريعة، التي هي فروع لا تستدرك أحكامها، إلا من جهة السمع والرسول، فأما حوادث تحدث في الأصول في تعيين مسائل، فينبغي لكل عاقل مسلم أن يرد حكمها إلى جملة الأصول المتفق عليها

بالعقل والحس والبديهة وغير ذلك، لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها السمع، أن تكون مردودة إلى أصول الشرع الذي طريقه السمع، وحكم مسائل العقلية والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلى بابه، ولا يخلط العقلية بالسمعية ولا السمعية بالعقلية»<sup>(21)</sup>.

فمنهج الأشعري في غاية الدقة لأنه يتطلب شدة الحذر والإمام التام بأمور الدين، وما تتطلبه كل مسألة للبرهنة عليها، من أدلة سمعية وعقلية، والجمع بين الاثنين هو الذي يحفظ عقيدة المسلمين من الخلط والتشويه<sup>(22)</sup>.

يقول محمد أبوزهرة عن منهج الأشعري: "وقد سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل والعقل، فهو يثبت ما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة من أوصاف الله ورسوله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صفات الله وقد استعان في ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة"<sup>(23)</sup>.

"هذا هو المنهج عند الأشعري، وإن كان ارتضاه جمهور الفقهاء والمحدثين من شافعية ومالكية وأحناف، وبعض الحنابلة، لأن الأشعري بلغ سعة الأفق، إلى حد تصويب المجتهدين في الفروع - إلا أن أتباعه - من بعده - كانوا أقرب إلى مذهب المعتزلة وطريقتهم في البحث"<sup>(24)</sup>.

ويقول محمد عمارة في وصف المنهج التكاملي عند الأشعري: "فبقدر من العقلانية التي لم يتخلى عنها الأشعري عندما انتفض على المعتزلة والاعتزال، وبمنهج الفقهاء في أصول الفقه كما صاغه الشافعي، وبمنهج المتكلمين من أهل السنة وخاصة ابن كلاب وسلفية أحمد بن حنبل، بكل هذه المنطلقات، انطلق الأشعري صانعا تحوله الفكري التاريخي، ومبلورا منهجه الوسطي الجديد"<sup>(25)</sup>.

#### 4. العقيدة تقوم على أساس السننية السببية والسننية الغائية معا:

##### 1.4 وسائل الإنسان الإدراكية مهياة للنظر السببي المادي والسنني الغائي معا:

قال الله عز وجل: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٤ ﴾ (الحج:54)، يدلنا هذا التعبير القرآني المعجز على حقيقة العلاقة بين النظر السنني الغائي والنظر السنني السببي؛ فالعلم القائم على النظر السببي المادي يتبعه النظر السنني الغائي القائم الإيمان تبعية ترتيب بلا تعقيب.

والإيمان يتبعه حركة القلوب من الإحبات والخشوع لله تعالى، وهكذا يثمر العلم الإيمان ويثمر الإيمان الإحبات والتواضع لله رب العالمين، فيكون تنويع النظر السببي المادي المحدود بالنظر السنني الغائي الغير محدود.

فوسائل الإنسان الإدراكية مهياة للنظر السببي المادي والنظر السنني الغائي معا، والقرآن الكريم يؤكد هذا التنويع بعبارات توقظ الفكر في أكثر من ثلاثة آلاف موضع ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾...، فالإسلام كما فرض على الناس أن يتعبدوا، فرض عليهم أن يتفكروا، يقول عباس محمود العقاد: "فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها؛ فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا، بل يذكره مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان.." (26)، فالعقل له معنى واحد في العلوم الحديثة، لأنها تنطلق من المفهوم الذي رسخته الفلسفة اليونانية وهو: "العقل جوهر قائم بذاته"، بينما العقل ورد في القرآن الكريمة بصيغ فعلية - تتجاوز الثلاثة ألف موضع كما ذكرنا آنفا - نظرا لارتباطه بقوى أخرى هي القلب والنفس والروح والحواس، مما جعله متعدد الملكات والوظائف، وقد تفنن علماء الإسلام في توضيح هذه الوظائف وتقسيم العقل حسب هذه الوظائف والملكات، منها تقسيم العقاد؛ الذي اعتبر للعقل وظيفة المنع وهي وظيفة أخلاقية وسمى هذا العقل بـ"العقل الوازع"، وله وظيفة الفهم والتصور التي تمثل ملكة الإدراك وأطلق على هذا العقل،

"العقل المدرك"، وله وظيفة التأمل والتدبر لاكتناه البواطن والأسرار التي تمثل ملكة الحكمة وأطلق عليه "العقل الحكيم"، وأطلق على أعلى وظائف العقل الرشد وسمى هذا العقل بـ"العقل الرشيد".

وانطلاقاً من هذه المعاني يطرح القرآن الكريم منهج عمل للنظر السنني، يتدرج فيه حسب وسائل الإنسان الإدراكية؛ الجسم والعقل والنفس والروح؛ وهو منهج شامل مرن لا يخضع لتقلبات الزمان والمكان لأنه ليس مجرد طريقة للبحث والتنقيب، كما هو الشأن بالنسبة للنظر السنني السببي المادي المجرد، وإنما هو منهج يعلو على المتغيرات النسبية ويظل ساري المفعول في كل زمان ومكان.

بدأ القرآن الكريم بدعوة الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطهم الكونية عن طريق "النظر الحسي" إلى ما حولهم، ابتداءً من مواضع أقدامهم وانتهاءً بآيات الآفاق والأنفس وأعطى للحواس مسؤوليتها الكبرى عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب قال له عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ حَوْلَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كُلِّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء:36)، ودعا أن يعن النظر فيما حوله من طعام وشراب وكائنات كالإبل كيف خلقت؟ والجبال: كيف نصبت؟ والأرض: كيف سطحت؟... وإلى آياته المنبثة في كل مكان، ودعا أن يحرك سمعه وجميع حواسه اتجاه الأصوات والأشياء الموجودة حوله في كل مكان.

قال الله عز وجل: ﴿فَأَرْجِعْ أَبْصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَرْجِعْ أَبْصَرَ كَرِيمًا ﴿٣٨﴾﴾ (الملك:3-4)، أنتقل القرآن الكريم في خطوة ثانية إلى تنبيه الإنسان ليحرك بصيرته، التي تستقبل في كل لحظة المدركات الحسية؛ السمعية والبصرية والذوقية والشمية واللمسية، وبين له أن هذه البصيرة هي المسؤولة على تنسيق تلك المدركات الحسية وتمحيصها وموازنتها وفرزها من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحدة السنن سواء كانت سنن آفاق أو أنفس أو هداية أو تأييد، لأنها تتبع كلها من مشكاة واحدة هي مشكاة التوحيد ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ).

إن العقل والحواس جميعا مسئولة في تحمل تبعة البحث والتمحيص والاستقراء والاختبار، والإنسان مبتلى بهذه المسؤولية لأنه من طينة أخرى غير طينة الأنعام، ومن ثم تتوالى الآيات تؤكد على أن السمع والبصر والفؤاد جميعا هي التي تعطي للحياة الآدمية قيمتها، وأن الإنسان بتحريكه لهذه القوى وتفعيلها واستغلال قدرتها العجيبة يصل إلى قمة انتصاره الديني والعلمي على السوء ويصل إلى المنزلة التي أرادها الله له أن يكون خليفة في الأرض وسيدا على العالمين، أما إذا جمّد هذه النعم فسينزل منزلة البهائم والأنعام أو أدنى من ذلك مرتبة.

قال الله عز وجل: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: 98)، من هذه الآية الكريمة وغيرها يتضح أن ما يقال عن التفكير يمكن أن يقال عن التفقه، الذي هو خطوة عقلية أبعد مدى من التفكير لأنه الحصيصة التي تنتج من عملية التفكير وتجعل الإنسان أكثر وعيا لما يحيط به وأكثر إدراكا لأبعاد وجوده وعلاقاته في الكون، كما تجعله يطبق عقيدة الشهادة على الناس فيكون متفتح البصيرة مستعدا للتداول المسئول عن كل ما يعرض له من أسئلة وعلامات.

#### 2.4 العقيدة تقوم على أساس العلم السنني الذي يتوج النظر السببي المادي بالنظر السنني الغائي:

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: 28)، تأسيسا على المعاني السابقة يكون النظر السببي في المنظور السنني الشامل طريقا إلى النظر السنني، ويكون البحث العلمي مرتبطا دائما بإرادة الله التي تكفل لنا استمرارية السنن الكونية واطراد حدوثها، لنراقبها وندرکها وننتفع بها في حياتنا، بعد أن نتعرف على طبيعة سلوكها، ونستدل بها على قدرة الله ووحدانيتها مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعُونَ لَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: 53).

يطرح الكتاب سؤالاً مهماً: كيف يمكن صياغة العقيدة في عصرنا، بأسلوب زماننا صياغة مقترنة بتصحيح المفاهيم التي شوّهت أو حُرّفت مع وضع مكاسب الحضارة الحديثة التي يقبلها الإسلام في مكانها من إطاره متحررين من النظريات الأجنبية المقحمة؟

ينطلق القرآن الكريم في دعوته من منطلقين؛ الكون والإنسان كما يبدو في الآيتين الكريمتين؛ قوله جل وعز: ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَتْ لَهُمْ آتَةُ الْحَقِّ﴾ (فصلت:53)، وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ءَآيَاتٌ لِّبُصُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الذاريات:20-21)، "ينطلق بنا القرآن الكريم فيعطينا عن الكون في سماءه وأرضه وشمسه وقمره ونجومه وبره وبحره وإنسانه وحيوانه ونباته وثماره ورياحه وسحبه وأمطاره ومياهه، صورة واضحة شاملة الإطار" (27)، "الصورة التي يقدمها القرآن عن الكون بوضوحها وشمولها وحركتها وقوانينها أو سننها المطردة المحسوبة والمنظمة المقدرّة خالية من الخرافات والأساطير" (28)، "الكون كما تدل الآيات القرآنية موضوع تأمل وتفكير تُستعمل في ميدانه الحواس الإنسانية من الرؤية والسمع لتعين العقل والفكر في معرفة حقائقه وسننه، ولذلك نلاحظ كثرة استعمال الألفاظ الدالة على الحواس والتفكير في مطالع الآيات المتضمنة لجزء الكون وحوادثه وفي خواتيمها؛ أنظروا، أفلا ينظرون، أولم يروا، يبصرون، يسمعون، يتفكرون، يعقلون، يعلمون، العالمين" (29)، وفي ذلك توجيه للإنسان بل تحريض له على استعمال حواسه للملاحظة، وعقله للتفكير والاستنتاج، ويده للتجربة، وإشارة صريحة إلى أن الكون قابل لهذا النوع من المعرفة الإنسانية التي ستزداد يوماً بعد يوم ﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَتْ لَهُمْ آتَةُ الْحَقِّ﴾، فكلما سلك الإنسان منهج التقوى وزاد تدبره وتفكره في سنن الآفاق والأنفس زادت معرفته، لأن النظر السبي يقف فقط عند صفات الكون ومظاهره الخارجية؛ كالشمول والوضوح والحركية والانتظام والقابلية للإدراك والمعرفة، بينما النظر السنني يدفع التفكير إلى ما وراء هذه الحدود ويتجاوزها إلى التفكير في خالق الكون، المقدر لسننه والمبدع لنظامه والخالق لأسبابه ومسبباته، فالإنسان تم إعداده لاكتشاف آثار صنعة الله جل وعز، وسننه التي قدرها لاستثمارها في بنائه الحضاري وحركته العمرانية،

ولهذا فالنظر السنني يصل المعرفة العلمية بالعبادة عن طريق التفكير، فالمنطلق الأول للإسلام هو الكون للانتفاع بخيراته وأستثماره "ويلاحظ أن توجيه القرآن الكريم للإنسان للانتفاع بما في الكون، توجيه قوي فيه دفع وإغراء"<sup>(30)</sup>، "من هذا المنطلق العملي للكون الذي يصل بين الإنسان وما في الكون من ضروب الانتفاع والاستثمار والتمتع، يدفع الإسلام الإنسان ليستمر في سيره نحو الله، استشعارا لنعمه واستحضارا لرحمته وانتظارا لجزائه وترقبا لحسابه، إنه لا يقف عند متع الكون، ولا يجعلها غايته، ولا يعرض عنها، ولا يقفز فوق الكون ويهمله، ولكن ينتقل من نشاطه فيه ومتعه إلى خالقه والمنعم به ومستخلفه عليه"<sup>(31)</sup>.

والعكس أيضا صحيح فقد تؤثر العقائد الخاطئة على معطيات الحواس وتوجهها توجيهها خاطئا، "إن ما نكتسبه من معلومات بسبب سعة الحواس، نخسره بسبب أحكامنا على هذه المعلومات"<sup>(32)</sup>، "إن قائمة المنجزات العلمية والطبية يمكن أن تقنع أي شخص بأننا نعيش اليوم في وقت استثنائي ومتفرد، وإنه لمن السهل ملاحظة ما هو الفرق؟ لكن التحدي يكمن في رصد الأشياء التي بقيت بلا تغيير"<sup>(33)</sup>.

"الإسلام لم يأت بالإدهاش العجائبي ولا بخلق الغرائب المخالفة لسنن الطبيعة، بل جاء ليكشف عن سنن الله في خلقه وجلال قدرته في تسيير الأكوان، بموجب قوانين شديدة الدقة، تتلاقى فيها البساطة بالتعقيد، وتستمر بها الحياة، كما تستمر بها حركة الأكوان كلها"<sup>(34)</sup>.

كشف العلم المعاصر وخلال العشرين سنة الماضية، أن ظهور الإنسان على ظهر الأرض لا يمكن أن يتحقق فعلا، دون أن يكون الكون كله مخلوقا بهذه الصيغة التي هو عليها، بما في ذلك كونه في حالة توسع وتمدد مستمر وهذا ما تؤكدته منظومة سنن التسخير التي رسم معالمها منظور السننية الشاملة<sup>(35)</sup>.

### أ- سنة إسكان الماء في الأرض بدل الاكتفاء بقانون الجاذبية:

يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: 18)، يقول العلم القائم على النظر السببي، أن أربعة أخماس الكرة الأرضية مغمور بالماء، والجاذبية الأرضية هي التي تحفظ استقرار هذا الماء في الأرض بحيث لا ينسكب في الفضاء الكوني.

بينما النظر السنني الغائي لا يقف عند هذا التفسير السببي المادي المحدود بمحدود العلم البشري، بل يلجأ إلى تدبر الآيات القرآنية والكونية والنفسية للكشف عن السنن الإلهية التي أسكنت الماء في الأرض، فتدبر آيات الماء في القرآن الكريم وهي تتجاوز 56 آية، ينقل الفكر من حدود السنن السببية المادية إلى سعة أفق السننية الغائية.

عندما نتدبر الدورة التي يسلكها الماء بين الأحياء نجد في تكرارها وتحددتها ما هو جدير بالنظر والاعتبار، فنحن نشرب نغتسل وكل الكائنات الحية تشرب من مياه الأرض، وعندما تموت هذه الكائنات وتضمحل يتبخر منها الماء عائداً من حيث جاء، سالكا عدة طرق ليتكون مرة أخرى سحباً وأمطاراً وينابيع وأنهار، واستمرار الحياة مرتبط ببقاء هذه الدورة بقدر معين من الماء لا يزيد ولا ينقص.

### ب- علم الفلك من الاكتفاء بالقوى المجالية إلى سنة إمساك السماوات والأرض:

علم الفلك قاده الاكتفاء بالنظر السببي المادي إلى اكتشاف القوى المجالية التي تعمل وفق قوانين فيزيائية محددة مثل؛ قانون الجاذبية، وقانون القوة الطاردة المركزية، واعتقد بأن هذه القوى هي التي تعمل على حفظ الاتزان الكوني والإمساك بالأجرام السماوية في أفلاك ثابتة.

لكن النظر السنني الغائي يرى أبعد من هذا بكثير، حين يتدبر في خشوع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر: 41)، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (الرعد: 2).

في الأخير يمكن القول: أن السننية كعلم يتطلب جهدا جبارا لأن؛ "النفوس أميل إلى حفظ الموروث ولو دخل عليه الخطأ منه إلى تقبل الجديد ولو ظهر الحق فيه وجاء النفع منه، إلى حين أن تستأنس هذه النفوس على التدرج به وتطمئن في نهاية المطاف إليه"<sup>(36)</sup>، فإذا كان استخراج حكم غير مسبوق داخل علم مقرر يتطلب من الاجتهاد بلوغ الغاية فيه، فما الظن باستخراج علم غير مسبوق فالاجتهاد اللازم له لا يكاد يقاس بغيره. إذن لا بد من إحكام مختلف مقتضيات التنظير المنهجية والمنطقية، والإمعان في الوعي بخصوصيات الموضوع الذي يميزه، واتساع في النظر والتوسع في المعرفة وسعة الصدر حتى يكون هناك علم يسمى السننية ومنهجية تسمى المنهجية العلمية السننية.

### 5. تحليل النتائج:

وقبل عرض نتائج هذه الدراسة يتبين أنه؛ لا يمكن لأحد أن يتصور أن "المنظور السنني الشامل" جاء لكي يؤكد موقفه من البناء الحضاري على الجوانب الروحية والأخلاقية فقط، وإنما جاء أيضا بمنهجية "النظر السنني الغائي" الذي يضع الجماعة البشرية المؤمنة في قلب العالم والطبيعة ويدفعها إلى أن تبذل جهدها من اجل التنقيب عن السنن في تفاصيل خلق الإبل وفي الماء والفلك وفي أعماق التربة وفي صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرات... إلخ.

كما يتبين أن "المنظور السنني الشامل" هو حركة حضارية شاملة، يطلب من الإنسان أن ينظر في السماوات والأرض، ويربط بين النظر السببي المادي والنظر السنني الغائي، بين التلقي من الوحي والتوغل قُدا في مسالك الكون الفسيح، بين البلوغ بالإنسان إلى الكمال الروحي، وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق نفس الدرجة من التقدم الحضاري على المستوى المادي والمدني، لم يفصل هذا المنظور يوما بين هذا وذاك، انه يقف دائما موقفا شموليا مترابطا متكاملا متوازنا، ويفرض الفصل والتجزئ والغثنائية في تقييم الحياة والدعوة إلى البناء الحضاري.

فالمنظور السنني الشامل ليس بدعا من الأمر ولا هو مولود جديد بل هو تعبير عن مسيرة الحضارة الإسلامية التي قطعت القرون الطويلة وهي تحتفظ بتوازنها المبدع بين الطرفين - بين المادة والروح بين النظر السببي المادي والنظر السنني الغائي-، وأنجزت وابتكرت وكشفت ونفذت الكثير من المعطيات الحضارية في مجالات الطبيعة والفلك والرياضيات والطب والصناعة التطبيقية وغيرها، وفي مجال العلوم والدراسات الإنسانية على السواء.

### خاتمة:

وفي ختام هذا البحث يتبين أن المنظور السنني الشامل يريد أن يضعنا في قلب الكون الفسيح، وأن يختار لنا موقعا تجريبيا يعتمد النظر السنني الغائي من أجل اكتشاف السنن السببية والسنن الغائية، حتى لا نفقد توازننا الحضاري فنحنج باتجاه الروح أو الأخلاق ونترك التطور المادي الملازم لأية حضارة متوازنة تريد أن تتحقق بالشرط الأكبر للوجود الإنساني على الأرض وهو عبادة الله، والتوجه إليه أخذا وعطاءً.

إن المنظور السنني الشامل يوجه أنظارنا إلى أذهل مخلوقات الله وإلى أشد الأمور مادية وثقلا في الوقت ذاته: البعوضة، الطعام، النطفة الأولى، الإبل، الجبال، السماء... إلخ، ويدعونا لأن نسير في الأرض بحثا عن سنن هذه العوالم، وإدراك أبعاد خلقها المعجزة التي لا تتحقق إلا بإرادة كلية نافذة لا يعجزها شيء، والله أعلم وهو على كل شيء قدير.

لهذا يوصي هذا البحث بمراجعة جميع العلوم مراجعة سننية، لرفعها من النظر في السنن السببية إلى مرتبة النظر في السنن الغائية حتى يحصل التوافق بين عالم الغيب وعالم الشهادة، والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

## قائمة المصادر والمراجع:

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: ج 1، تفسير القرآن العظيم، ط3، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م.
- أبو الحسن الأشعري. الإبانة عن أصول الديانة. تقدم وتحقيق وتعليق فوقية حسين محمود. جزء2. القاهرة: توزيع دار الأنصار. (ط1، 1397هـ-1977م).
- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام. حيدر آباد الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. (ط3، 1400هـ-1979م).
- أحمد محمود، محمد عابد: العقل بين الفرق الإسلامية قديما وحديثا. رسالة ماجستير. مخطوط. (1431هـ-2010م). الجامعة الإسلامية ب: غزة. قسم العقيدة والمذاهب.
- أوميس، رولان: فلسفة الكونتم فهم العلم المعاصر وتأويله، (ترجمة:- أحمد فؤاد باشا)، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أبريل، 2008م.
- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن: شرح المواقف. ج 1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1، 1419هـ-1998م).
- الباقلائي، أبوبكر محمد بن طيب: كتاب التمهيد. بيروت: المكتبة الشرقية. (دط، 1957م).
- برغوث، الطيب: السننية الشاملة روح الحياة ونظام الوجود ومركز الحضارة، ط1، اسطنبول: مركز الشهود الحضاري، 1443هـ-2021م.
- برغوث، الطيب: مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلايفية على ضوء نظرية المدافعة والتجديد، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، 2019م.
- بروكس، مايكل: ثلاثة عشر شيئا غير مفهوم، (ترجمة: أحمد عبد الله السماحي وفتح الله الشيخ)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1435هـ-2014م.
- تايسون، نيل ديغراس: عن هذا الكون الفسيح، ط1، العراق: دار سطور للنشر والتوزيع، 2017م.
- الجوزي، ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل أياك نعبد وأياك نستعين، ج3، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د ت.
- سارتون، جورج: تاريخ العلم، ط1، 6 أجزاء، (ترجمة: إبراهيم بيومي مذكور وآخرون)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م.
- ستانارد، راسل: مقدمة قصير جدا للنسبية، (ترجمة:- محمد فتحي خضر)، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، 2020م.
- طالب، هشام: بناء الكون ومصير الإنسان، ط1، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ-2006م.
- الطائي، محمد باسل: صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، د ط، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2010م.
- طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة)، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995م.
- عبد الكريم، زيدان: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م.
- العقاد، عباس محمود: التفكير فريضة إسلامية، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م.
- قاسمي، عمار: الرؤية التوحيدية في تفسير حركة التاريخ، أطروحة دكتوراه 2016، مخطوط، بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، قسم الدوريات، الفصل الأول.
- المبارك، محمد: نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ-1995م.
- محمد أبو زهرة. ابن تيمية حياته عصره- آرائه وفقهه. القاهرة: دار الفكر العربي. (دط، 1991م).
- محمد سعيد رمضان البوطي. كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة مخلوق. بيروت: دار الفكر المعاصر. (إعادة ط1، 1417هـ-1997م).

محمد عمارة. تيارات الفكر الإسلامي. القاهرة: دار الشروق. (ط2، 1418هـ-1998م).  
المرزوقي، أبو يعرب. مفهوم السببية عند الغزالي، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، ط1، د ت.  
ياسر أحمد عبد الله وصفوان تاج الدين علي: "العقل عند المتكلمين" مقال: مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل. المجلد7. (العدد2/14، 1434هـ-2013م).

- <sup>1</sup> الطائي، محمد باسل: صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، د طه، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2010م، ص22.
- <sup>2</sup> يُنظر: أومينس، رولان: فلسفة الكونتم فهم العلم المعاصر وتأويله، (ترجمة: - أحمد فؤاد باشا)، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أبريل، 2008م، ص15.
- <sup>3</sup> الطائي، محمد باسل: صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، د طه، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2010م، ص16.
- <sup>4</sup> نفسه، ص23.
- <sup>5</sup> هذا المصطلح في حقيقة الأمر هو مصطلح أبدعه الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (ت 1804م)، وهو يعبر عن جوهر العقيدة اليهودية والقول: بالمكان التاريخي (من الفرات إلى النيل) والزمان التاريخي (زمن بناء الهيكل)، والفلسفة الكانطية زيادة على أنها وحدت القوميات البروسية ففي سعت أيضا إلى تحقيق الحس اليهودي المشترك، بتوجيه جميع الأهداف نحو (الزمان).
- <sup>6</sup> ينظر: ستانارد، راسل: مقدمة قصير جدا النسبية، (ترجمة: - محمد فتحي خضر)، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداي، 2020م.
- <sup>7</sup> ينظر: أعمال أحمد فؤاد باشا، وكذلك، بروكس، مايكل: ثلاثة عشر شيئا غير مفهوم، (ترجمة: أحمد عبد الله السماحي ووفتح الله الشيخ)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1435هـ-2014م، ص19.
- <sup>8</sup> يُنظر: سارتون، جورج: تاريخ العلم، ط1، 6 أجزاء، (ترجمة: إبراهيم بيومي مذكور وآخرون)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010م.
- <sup>9</sup> عبد الكريم: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م، ص23.
- <sup>10</sup> الجوزي، ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل أياك تعبد واياك نستعين، ج3، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د ت، ص450.
- <sup>11</sup> عبد الكريم: المرجع السابق، ص33.
- <sup>12</sup> "المنظور السنني الشامل" اتجاه فكري جديد وضعه الطيب برغوث يلخص فيه الرؤية الإسلامية في كليتها وشموليتها وتوازنها وصحتها وحيويتها ونفعها... بمصطلح معاصر، ويسعى من خلاله إلى إعادة بناء وتفعيل النظام المعربي الإسلامي الذي أصابه الخلل منذ الانزلاقات الكبرى التي حصلت بعد نهاية الخلافة الراشدة.. للاستزادة يُنظر: - برغوث، الطيب: السننية الشاملة روح الحياة ونظام الوجود ومرتكز الحضارة، ط1، اسطنبول: مركز الشهود الحضاري، 1443هـ-2021م، ص50-55، وباقي صفحات الكتاب أيضا من شأنها أن توضح معالم منظور السننية الشاملة.
- <sup>13</sup> يُنظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: ج1، تفسير القرآن العظيم، ط3، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م، ص430.
- <sup>14</sup> للاستزادة يُنظر: قاسمي، عمار. أطروحة دكتوراه 2016، الرؤية التوحيدية في تفسير حركة التاريخ، مخطوط، بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، قسم الدوريات، الفصل الأول.
- <sup>15</sup> الباقلائي أبوبكر محمد بن طيب. كتاب التمهيد. بيروت: الكتبة الشرقية. (دط، 1957م)، ص7-8. يقول الباقلائي: "النظر هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن"، أنظر: - عضد الدين عبد الرحمن الإيجي. شرح المواقف. ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1، 1419هـ-1998م)، ص196، ويقول أيضا: "والنظر الصحيح عند الجمهور يشتمل على شرائط بحسب مادته وصورته (يعقد العلم) بالمنظور فيه (عند الجمهور)، وأما إفادته للظن فقد قيل: أنها متفق عليها عند الكل (ولابد) قبل الشروع في الاستدلال من تحرير محل النزاع لتوارد النفي والإثبات على محل واحد"، المصدر نفسه، ص215-216.

- 16 طالع: محمد سعيد رمضان البوطي. كبرى القينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة مخلوق. بيروت: دار الفكر المعاصر. (إعادة ط 1، 1417هـ-1997م)، ص34-74.
- 17 أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. رسالة استحسان الخوض في علم الكلام. حيدر آباد الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. (ط3، 1400هـ-1979م)، ص10.
- 18 فيما وصلنا من مصنفات عن الأشعري لا يوجد مفهوم صريح وواضح للعقل، ولم يخصص الأشعري في ذلك فصلا أو مبحثا، وإنما يمكن استنباط هذا المفهوم من خلال الممارسات المنهجية والمعرفية، ومن خلال تأسيساته واجتهاداته العقدية، وتوجد عدة دراسات اختصت بمحاولة تتبع مفهوم العقل عند الأشعري والأشعرية منها: الدراسة التي أجزها مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، التابع للرابطة المحمدية للعلماء بالملكة المغربية، تحت عنوان: "مفهوم العقل عند الأشاعرة". وكذلك المقال الذي أجزه؛ ياسر أحمد عبد الله وصفوان تاج الدين علي: "العقل عند المتكلمين" مقال: مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة الموصل. المجلد7. (العدد2/14، 1434هـ-2013م)، ص16-19، يقول: "العقل أصل التلقي من الشرع، ولم يقدموا العقل على الشرع، بل احترموا العقل مع تقدم الشرع في كل شيء". كذلك الدراسة التي أجزها: - أحمد محمود محمد عابد. العقل بين الفرق الإسلامية قديما وحديثا. رسالة ماجستير. مخطوط. (1431هـ-2010م). الجامعة الإسلامية ب: غزة. قسم العقيدة والمذاهب، ص126-156، وقد ناقش الباحث مفهوم العقل عند الأشعري وتوصل إلى نتيجة اعتقد أنها الأقرب إلى الصواب، يقول في ص130: "والاحتمال الأقرب إلى الصواب في هذه المسألة، هو تبني أبو الحسن الأشعري لمعنى العقل عن شيخه المحاسبي، في ماهية العقل بأنه غريزة، وذلك لشدة قربه من الحارث المحاسبي وأهل السنة"، وقد أفضنا في الإحالة على مفهوم العقل لما له من علاقة بمفهوم السببية وفي هذا السياق ينظر: المرزوقي، أبو يعرب. مفهوم السببية عند الغزالي، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، ط1، د ت.
- 19 أبو الحسن الأشعري. الإبانة عن أصول الديانة. تقلد وتحقيق وتعليق فوقية حسين محمود. ج.2. القاهرة: توزيع دار الأنصار. (ط1، 1397هـ-1977م)، ص10.
- 20 أبو الحسن الأشعري. الإبانة عن أصول الديانة. مصدر سابق. ص20-21.
- 21 طالع: جلال محمد عبد الحميد موسى. نشأة الأشعرية وتطورها. مرجع نفسه، ص199.
- 22 طالع: جلال محمد عبد الحميد موسى. نشأة الأشعرية وتطورها. مرجع نفسه، ص199.
- 23 طالع: محمد أبو زهرة. ابن تيمية حياته عصره - آرائه وفقهه. القاهرة: دار الفكر العربي. (دط، 1991م)، ص161، وأيضا الصفحات ما قبلها وبعدها فيها نصوص مهمة جدا، اقتبسها المصنف في كتاب الإبانة.
- 24 طالع: جلال محمد عبد الحميد موسى. نشأة الأشعرية وتطورها. مرجع نفسه، ص202.
- 25 محمد عمارة. تيارات الفكر الإسلامي. القاهرة: دار الشروق. (ط2، 1418هـ-1998م)، ص168.
- 26 العقاد، عباس محمود: التفكير فريضة إسلامية، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م، ص8.
- 27 المبارك، محمد: نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ-1995م، ص22.
- 28 نفسه، ص27.
- 29 نفسه، ص28.
- 30 نفسه، ص33.
- 31 نفسه، ص35.
- 32 تايسون، نيل ديغراس: عن هذا الكون الفسيح، ط1، العراق: دار سطور للنشر والتوزيع، 2017م، ص24.
- 33 نفسه، ص75.
- 34 طالب، هشام: بناء الكون ومصير الإنسان، ط1، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ-2006م، ص40.
- 35 يُنظر: برغوث، الطيب: مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية على ضوء نظرية المدافعة والتحديد، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، 2019م، ص57 وما بعدها.
- 36 طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة (الفلسفة والترجمة)، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1995م، ص53-54.